

الأخلاق، الحجاج و التواصل الرقمي

بمنظور فيليب بروتون

Ethics, Argumentation, and Digital Communication From the Perspective of Philippe Bretonفاطمة الزهراء أمغار¹¹ جامعة الجزائر بوزريعة 2 (الجزائر). fatmazora.amghar @univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/10/01 تاريخ القبول: 2025/11/20 تاريخ النشر: 2026/01/23

ملخص:

هدفنا في هذا البحث إبراز مقارنة فيليب بروتون في العملية الحجاجية، خصوصا فيما يتعلق بتكوين الجانب العقلاني بين المتحاورين. أخذين بعين الاعتبار المحور الجدلي الثلاثي كما يذكره أرسطو في كتابه الخطابة ويجدده كل من بيرلمان وتيتيكا في مصنفه في الحجاج البلاغة الجديدة ألا وهو اللغوس والباتوس والإيتوس. كل ذلك من أجل تبرير أفعالنا ومواقفنا بحجج عقلية، تجنبنا التضليل وتعزيزا للديمقراطية. فالغاية ليس فقط إحداث التواصل بقدر ما هو إنجاح للعملية التداولية التواصلية في جوانبها الأخلاقية والإستراتيجية والعاطفية. في مرحلة توسع فيها استخدام تكنولوجيات معلوماتية.

كلمات مفتاحية: الحجاج، الأخلاق، التداول، التضليل، المعلومات والاتصالات.

Abstract:

In this research, we aim to highlight Philippe Breton's approach to the argumentative process, particularly with regard to the formation of the rational aspect between the interlocutors. We take into account the three-way dialectical axis as mentioned by Aristotle in his book Rhetoric and renewed by Perelman and Titica in their work on argumentation, The New Rhetoric, namely logos, pathos, and ethos. All of this is in order to justify our actions and positions with rational arguments, avoid misleading and promote democracy.

The goal is not only to create communication, but rather to ensure the success of the communicative deliberative process in its ethical, strategic, and emotional aspects, in a phase in which the use of information technologies has expanded..

Keywords: argumentation, ethics, deliberation, misinformation, information and communication.

*المؤلف المرسل: فاطمة الزهراء أمغار

1. مقدمة

تعرف عادة اللغة الطبيعية بديناميتها في المجال التواصلية على خلاف اللغات الشكلية التي تهتم باللغة نفسها، أساليبها وتقنياتها مبعدة العوالم الأخرى المحيطة ، من سياق تاريخي وإجتماعي وفكري ونفسي. ما يسميه بول ريكور بعالم النص **le monde du texte** وأشياء النص **les choses du texte** . فالنص يفتح على عوالم متجددة للحياة (Foessel.2015pp100-103).

فالتفكير البشري يتجاوز إنغلاقات العلامة التي جاءت بها الدراسات الحديثة في علوم اللغة إلى الحديث عن واقع خارج اللغة **une réalité extralinguistique**، ما سمح بظهور ما يسمى الخطاب بدلا من الكلام مع أن التمييز ذاته جاء من الدراسات الشكلانية عامة. فتحول الاهتمام من بنية اللغة إلى وظيفتها ومن العلاقات الداخلية بين العلامات إلى العلاقة بين الخطاب و العالم الخارجي الذي يحيل إليه ، و من التفكير من البنية إلى المعنى (Ricoeur,1991,pp285-288). فيأخذ حينها الخطاب نزعة قصدية تقوم على وظيفة التوسط بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان و العالم، مع الخطاب يتحقق ما يقوله ريكور الخطاب : شخص يقول شيئا ما لشخص آخر عن شيء ما (Ricoeur,2010pp35-36).

من هذه العوالم التي تفتح ،عالم الإنسان و علاقته بالإنسان بحكم إجتماعيته و ضرورة التواصل ونسج علاقات، بعضها يدفعنا إلى تبرير أفعالنا وأقوالنا بحجج نلجأ فيها إلى أساليب للإقناع بعضها وجيه وبعضها نسعي من خلالها إلى تحقيق مصالحنا ولو كان ذلك على حساب المنطق و حريات الأفراد و أخلاق الديمقراطية. خصوصا مع توسع إستخدام تكنولوجيايات المعلومات والإتصالات. مما يدفعنا إلى إعادة النظر في ممارسات تبرير أفعالنا بحجج معقولة، وهو أمر ضروري للغاية للديمقراطية .

سعى فيليب بروتون واحد من المفكرين المعاصرين من خلال كتاباته إلى الإهتمام بتشكيل أخلاقيات عقلانية بين المتخاطبين المتحاورين مركزا على السياقات الديمقراطية على عكس السياقات القهرية. بدا بتسليط الضوء على مثلث الجدل الذي يطرحه والمتمثل في اللغوس والباتوس والإيتوس.

من خلال التأكيد على أهمية المنهج الجدلي لفيليب بروتون في التواصل ، نريد أن ندعم فكرة التجديد الأخلاقي للبلغة الذي أصبح أكثر إلحاحا، كما دعا إلى ذلك شايم بيرلمان (1912-1984) في الخمسينيات (1958،1977). هدفنا هو قبل كل شيء إبراز أهمية الأخلاق العقلانية للمحاورين الذين يسعون إلى تحقيق النجاح في التواصل خلال تفاعلاتهم،إذا أردنا تقليل اللجوء إلى الإكراه و الإعتماد بدلا من ذلك على الحجج المشروعة . نحن نركز على تطوير التداول بحيث يتم فيه دمج للوغوس (التفكير) والأخلاق (الشخصية) والباتوس (العواطف) بشكل جيد، كما أشار

في حديثه عن أثر الاستدلال الحجاجي عند أرسطو في مؤلفه الخطابة الذي ميز فيه بين أئين ثلاثة أنواع من الأدلة: أولها تعتمد شخصية الخطيب **L'éthos** ، والثانية تعتمد على محتوى الخطاب **Le logos** ، أما الثالثة فتعتمد مشاعر المتلقي **Le pathos**. فاستدعاء شخصية الخطيب أو مشاعر المتلقي ينبغي أن يأتي من الخطاب ذاته، فغير ذلك يمكن أن يؤدي إلى المرافعة خارج إطار القضية، كما أن الخطيب لا يستطيع الاستغناء عن دراسة

الحالة النفسية للمتلقين. وعلى الحجج التي تعتمد محتوى الخطاب أن تركز على إظهار احتمالية الصواب فيما يحتويه كل موضوع من قدرة على الإقناع.

كان لتفكير أرسطو الأثر البالغ في توجيه فلسفة فيليب بروتون في التواصل والإعلام خصوصا فيما يتعلق بالحكمة العملية للإنسان، باختصار، تركز على الأفعال البشرية المتعمدة، ونحدد بشكل خاص التواصل من خلال الحجج المشروعة غير التضليلية كما يذكر فيليب بروتون (2011، 2008).

لذلك تأتي دعوة بروتون إلى تعزيز "ديمقراطية تواصلية" تركز على التداول، مع الاعتراف قدر الإمكان بجوانبها المعرفية والاستراتيجية بقدر ما نعترف بجوانبها العاطفية والأخلاقية بعبارة أخرى، يتعلق الأمر بإعادة بناء مفهوم البلاغة باعتبارها فن الإقناع الذي يستخدمه التفكير الاستدلالي القادر على استعادة الصلة المفقودة التي تربطها بالأخلاق. ولا يمكن تحقيق هذه الاستعادة بطريقة شكلية أو تقنية بحتة (أي عن طريق الجدال)، بل يجب أن تأخذ في الاعتبار الحوار كطريقة تفاعلية تتحقق في مجال التواصل الأوسع للعلاقات الإنسانية. باختصار، كعملية غامضة وديناميكية، عقلانية وعاطفية في آن واحد، تفسيرية وتعبيرية وأدائية. (بروتون، 2011).

يتطلب مثل هذا النهج بالتالي تفكيراً أخلاقياً بشكل خاص فيما يتعلق باحترام الآخر: وهي قيمة أساسية أكد عليها بروتون من أجل تطوير قدرة متبادلة على الاستماع من شأنها أن تولد علاقات ثقة أكثر ديمومة وإنتاجية بين المتحاورين المتفاعلين. ومن شأن مثل هذا النهج أن يتيح عملية تداولية لتبادل الأفكار بحيث يمكن اتخاذ قرارات مدروسة بشكل مشترك وبطريقة مشروعة، أي مبررة أخلاقياً.

بالإضافة إلى ذلك نرغب من خلال هذا العمل التأكيد على أهمية الفعل "إقناع" دون اللجوء إلى التضليل بحيث يمكن اعتبار التواصل عملية مستمرة قادرة على عبور مجالات العلوم والسماح بالتعاون بين التخصصات بل إمكان التداخل بين التخصصات والمجالات العادية أي السماح بأن تكون الأفعال الأخلاقية ممكنة ومشجعة في الحياة اليومية في كل فضائها العامة والخاصة.

من هذا المنظور، فإن علم التواصل هو بلا شك وسيلة لا غنى عنها لفهم وتعزيز العمليات البناءة والتعاونية والمتوازنة وبالتالي، فإنه يتيح إعادة النظر في بعض المناقشات المهمة التي تميزه، ولا سيما تلك المتعلقة بالعلاقات بين التكنولوجيا والطبيعة والثقافة، في ضوء نموذج مثالي تعاوني في المقام الأول (بياجيه 1985، ص 194-195) لأنه اتصالي في جوهره (هابرماس 1981) وقد يؤدي التمرين الإبداعي والنقدي للتقريب وإعادة البناء المستمر بين المجتمعات التواصلية (الحقيقية مقابل المثالية) إلى تطور كبير في قدرتنا على الحوار والتواصل و الدبلوماسية (هابرماس 2007). ينبع اهتمامنا بهذا الموضوع بشكل خاص من بعض الجوانب التي نعتبرها مقلقة فيما يتعلق باستخدام وتوزيع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات "العالمية" في عصر الإنترنت. فحتى لو كانت وسائل الاتصال الرقمية تعزز بلا شك بصورة أكبر

في علاقاتنا التفاعلية، وهو ما ينبغي أن يجعلها، أكثر غنى، بينما الملاحظ في الواقع أنها تكون في أكثر الحالات مدفوعة بأسباب ذاتية إلى حد أقصى كالذي يحدث على شبكات التواصل الاجتماعي التي في الواقع ترتبط ارتباطاً

وثيقا باساليب ومسائل تجارية كما تذكر ذلك كلود كوسيت (كلود كوست 2009 ص5)، كما يبرز بوضوح في الإعلانات الترويجية التي تقوم أساسا على رفع إحساس المتعاملين الافتراضيين بذاتهم .

تظهر بهذه الصورة تفاعلات إجتماعية قائمة على حاجات أنانية ذاتية يصطلح عليها علماء الاجتماع والمتخصصون في المعلوماتية ب "الشبكية الذاتية" أو "الفردية الشبكية"، منهم العالم الاجتماعي باري ويلمان ومانويل كاستيلس خصوصا في كتاباته عن سلطة الإتصال .

هي حالات تتركز فيها التفاعلات بشكل قوي على حاجة أنانية لا تترجم للأسف إلى تبادلات حقيقية ودائمة، ولا قدرة على تطوير حس حقيقي بالتعاون يجعلها أكثر عمقا في معنى "المجتمعات التفسيرية" وينظر إلى الفضاء العام المعاصر بشكل متزايد على أنه سلعة متجذرة في عمليات جماعية لا تخلو من بعد كبير من الإستعمار الداخلي تجاه بعض القيم السائدة (Papacharassi, 2010, 21-23). إن الضغط الذي يمارسه المجتمع، نظرا لحاجتنا إلى أن نكون على قدم المساواة مع الآخرين، يقودنا بسهولة إلى إندماج مقيد وسطي لا يحترم حقا تفرد وثراء وغنى كل فرد على حدة. (هابرماس 2007، 9-10).

في مثل هذا السياق، يبدو من المناسب أيضا مناقشة العلاقة المتناقضة بين الإستقلالية للأفراد فيما بينهم والقابلية للتضليل التي تظهر بشكل بارز ومذهل في المجتمعات التي ندعوها "ديمقراطية" والتي تركز على الفرد في إطار نموذج رأسمالي تنتهي في آخرها إلى الحد من الحرية الفردية .

وغالبا ما تقتزن بالخبرة التي تفقد البصيرة والحكمة فتجعل المعلومات سلعة في المقام الأول . هنا تكمن المفارقة في مجتمعاتنا المعاصرة - أصبحت أكثر عرضة للتأثر، لأنها معرضة بشكل كبير للعنف التضليل لاسيما من قبل صناعة الدعاية (Ricoeur, 1995 pp33-37).

2. المقاربة الحجاجية لفيليب بروتون

الجدل مسألة أخلاقية

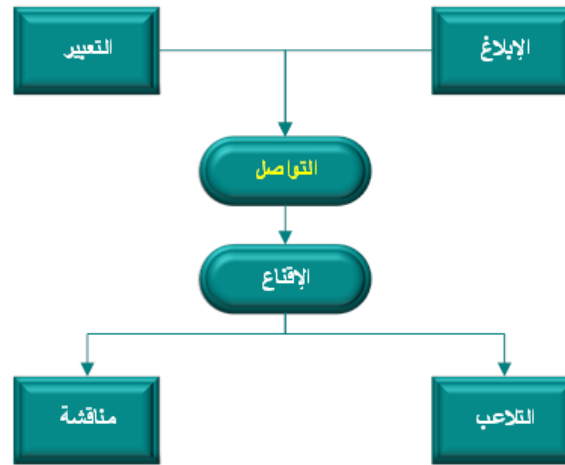
تحت تأثير بيرلمان من خلال كتابة المصنف في الحجاج و البلاغة الجديدة 1985 يحاول فيليب بروتون دمج البلاغة، باعتبارها علاقة اتصالية في مجال الجدل المشروع فأصبحت مساهمته نوعا من استئناف لأسلوب بيرلمان- الذي ادخل طريقة جديدة جدا في عصره -أخذا جدية أكثر مختلف المخاوف المتعلقة بمجال الاتصال البشري الواسع. في أول الأمر، يلخص بريتون البلاغة على أنها "فن الإقناع بالمنطق الجدلي بمعارضتها صراحة لتقنيات التضليل التي توصف بشكل ازدرائي ب "البلاغة"، ولكنها تهدف إلى تحقيق الفعالية بأي ثمن ولا أدل على ذلك مؤلفاته التي تحمل بعضها عنوان الخطاب المضلل، الحجاج في الإتصال وإنفجار الإتصال . من خلالها يظهر بروتون مؤمن إيمانا قاطعا على أن لا التواصل دون إستراتيجيات تتغذى من خطاب حجاجي مبني على تقنيات الإقناع بحكم أن الإقناع هو ما يميز الإنسان عن غيره من الحيوانات. كما يميز بين الإقناع والتضليل.

يلح فيليب بروتون باستمرار في كتاباته على بلاغة يغلب عليها " المنطق " والتي تركز على التفاعلات الموجودة في مواقف التواصل المتماثلة حيث يكون المشاركون في عملية التفاعل متحفزين لتبادل آرائهم بحرية من أجل الإقناع بالمنطق" (بروتون، 2007، ص ص 36-37). باختصار، يريد بروتون معالجة التواصل في سياقات غير قهرية للتأكيد

قدر الإمكان على الحد الفاصل بين الحجة و التضليل، بين الاحترام والعنف. لأن إزالة هذا الحد الفاصل قد يهدد مبدأ الديمقراطية نفسه. فالكلام الحر غير المضلل به هو ضمان الديمقراطية نفسها (Breton2000pp,65-67).

يركز بروتون على الجانب الأساسي للجدل باعتباره عملاً تواصلياً لتبادل الأفكار. إنه إذن فعل ينشأ في سياق العمل الذي يهدف إلى الإقناع، والذي يميزه بروتون عن التواصل التعبيري البسيط (التأكيد الصريح لرأي ما) أو العرض المعلوماتي المثالي (الوصف "المحايد" أو "الموضوعي" لواقعة ما). يميز بروتون نظرياً بين مستويات التواصل الثلاثة المرتبطة بهذه الرؤية (التعبير والإعلام والإقناع)، حتى وإن كان يعترف بأن هذه المستويات تتداخل كثيراً في الواقع العملي. وفيما يلي الطريقة التي يمثل بها المؤلف هذه المستويات الثلاثة للتواصل بيانياً:

الشكل 1 الحجاج في التواصل فيليب بروتون 2007 ص19



وحسب فيليب بروتون، يستند الجدل إلى المقترحات الثلاثة التالية :

- 1- التواصل التعبير عن رأي للآخرين بحيث يمكن مشاركته
 - 2- القدرة على ضبط النفس باسم الموقف الأخلاقي، بدلا من تقديم خدمة باسم الكفاءة بأي ثمن
 - 3- التفكير المنطقي تقديم رأي للآخرين مع إعطائهم أسباب وجهة التبنيه .
- من هذا نفهم ، أنه يتم استيعاب البلاغة الجديدة ليبرلمان بكل ديناميكيته. التواصلية كممارسة مشروعة للإقناع، أي فن الإقناع عن طريق التفكير المنطقي الذي يمكن أن يقدم أسباب وجهة لدعمه. أما التضليل فهو حرمان قهري (بل وقسري وعنيف) من حرية التفكير والتفكير المنطقي والمناقشة .

لذلك يمكن اعتباره حاجزا للحكم، يفرضه متحدث لا يحترم جمهوره حيث لا يعني الحق في الرأي هو الحق في فرضه على الآخرين، لأنه ينطبق على الجميع في سياق ديمقراطي . التضليل بالكلام لا يحترم هذا المبدأ الأساسي للمواطنة، لأنه يتمثل في صنع رسائل بهدف خداع الآخرين بشكل استراتيجي وهو ما يسميه بريتون " التضليل

المعرفي " الذي. يعتبر التلفيق أحد أركانه الأساسية (بروتون 2007، ص ص 48-50). حتى إن تمسكنا بصدق وإيمان شديدين بوجهة نظر معينة، مهما كانت نسامية . فإن هذا لا يعطينا الحق في صياغة رخطاب برسالة مضللة لمجرد الدفاع عنها. في مثل هذه الحالة يؤكد بروتون المسألة باعتبارها مسألة حساسة لأنه من السهل جدا التأكيد على وجود أكاذيب نبيلة، ومبادئ نبيلة لدرجة أننا نظن أنها تبرر باسمها أنواعا من الخداع كالحالات التي لا توجد فيها انفتاحية كافية لاقتراح طرق منطقية للمناقشة بهدف التوصل إلى توافق في الآراء من خلال الحوار والتفاوض و النقاش ، يبدو أن استخدام القوة و العنف أو التضليل يمكن تبريره بسهولة، إن لم يكن تقريبا تلقائيا باعتبارها الطرق الوحيدة الممكنة للوصول إلى " النهاية المرغوبة " و تاريخ الحضارت يعج بالنماذج التي أدت إلى نتائج مخيفة .

هذا الوضع تتطلب الاهتمام والحرص والمهارة في التعامل مع أولئك الذين يمثلون بالضبط حواجز مقيدة للحجة المشروعة. إنها مشكلة تذكرنا بلا شك بقول كانط عن الفلسفة الأخلاقية. من المعروف أن الفيلسوف الألماني انتقد بشدة إمكانية المعرفة، حيث شدد على حدود العقل البشري لينتقد بشكل خاص العيب الكبير في الميتافيزيقا، وهو ضعفها المتمثل في ادعاءات خادعة بشأن التحقق من الأشكال الحسية التي تتجاوز (ميتا) حدود التجربة التي تظل دائمة مادية كل ما يتبقى لنا، وفقا لكانط هو أن نقبل البرهان الأخلاقي لواجباتنا والتزاماتنا بشكل قاطع و جازم دون إعتبار آخر . على عكس الادعاءات الميتافيزيقية التي تناولها كانط، أن كل ما يتجاوز الحجة العقلانية المشروعة كالعنف والإغراء والتضليل لا يمكن تبريره أو إثباته إلا بطريقة غير عقلانية، وبالتالي، فهو غير أخلاقي بشكل قاطع. ولكن في الممارسة العملية، فإن الحدود الفاصلة في ضبابية ، بحيث أن مثل هذا النهج المطلق المتطرف يسقط بسهولة في استبداد متعجرف عقيم .

ومع ذلك، لا يزال بروتون يكرر لنا أن الحد الفاصل بين التضليل والحجة، وكذلك الحد الفاصل بين العنف والاحترام، يجب أن يتم التأكيد عليه قدر الإمكان. فكلما فقدنا هذا الحد الفاصل من أعيننا، زادت مخاطر أن تتحول الديمقراطية إلى مجرد كلمة "فاضلة" تفقد معناها تدريجيا في ظل غياب ممارسات حججية أكثر شرعية. فالديمقراطية، باعتبارها ممارسة الكلام المنطقي والمحكم، تحتاج إلى شرط أساسي ضروري كقاعدة ذهبية، ألا وهو الصراحة التي تثير فكرة "حرية الكلام" (Breton, 2000p,61). ومع ذلك، لا يدعي بروتون أنه يوصي بالخطاب "المرتجل" على وجه الخصوص باعتباره العلاج لمواجهة الخطاب المضلل به . بل يشير إلى مناقشة ديناميكية، ولكن منظمة، أي ممارسة تأملية مميزة لعملية المشاركة التي تعبر عن التكيف التفاعلي بين المتحدثين والجمهور المستهدف، في سياق التبادل من خلال اقتراحه أن ننظر إلى فعل الجدل على أنه مرتبط ارتباطا وثيقا بديناميكية التواصل، يحدد بروتون أيضا العناصر التالية:

1- تتطور المناقشة في سياق استقبال مسبق، في حالة خاصة من مجموعة من الآراء والقيم والأحكام الخاصة بجمهور معين.

2- يضع المتحدث نفسه في موقف يتطلب تقديم رأي في شكل حجة حتى يتقبله الجمهور. لذلك، عليه أن يتحمل مسؤوليته بحيث يكون ضامنا الحرية جمهوره.

3- يعتمد الفعل الجدلي على فعل تواصل أساسي ألا وهو "الاستماع".

في المقابل و السائد في الفضاءات العامة و الخاصة أن حرية التعبير ليست مرغوبة دائما ومطلوبة لذلك، يجب على المتحدث أن يتخذ أساليب معينة و إستراتيجيات تبدأ بجذب انتباه جمهوره حتى يستمعوا إلى كلماته الأولى، قبل أن ينتقل إلى مرحلة الحجة. علاوة على ذلك، حتى عندما لا تكون البيئة معادية وتكون الظروف مواتية لقبول الكلام منذ البداية، يجب على المتحدث أن ينجح في الحفاظ على انتباه من يخاطبهم حتى يتمكن من إيصال رسالته طوال عملية الجدل المطلوبة. إذا لم يحدث ذلك، فإنه يخاطر بأن لا تؤخذ كلماته في الاعتبار وأن تكون حجته غير مقنعة على الإطلاق. وبالتالي، فإن التفاعل و التضافر المستمر بين الأبعاد المعرفية والعاطفية والأخلاقية للمتخاورين يشكل شرطا أساسيا في إنجاح العملية الإقناعية الحجاجية:

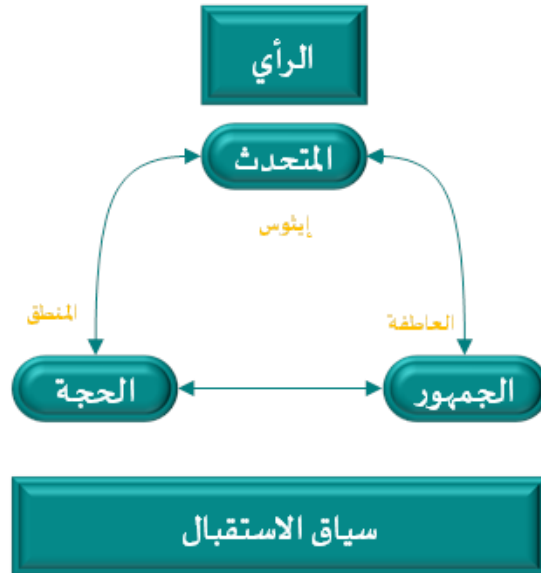
-الروح (شخصية المتحدثين) المقترحات ومسؤوليات العمل

-الباثوس مزاج المتخاورين) الآراء والقيم والأحكام

-اللوجوس (التفكير المشترك) التفكير الاستدلالي في التفاعل.

فيما يتعلق بهذا التفكير يقدم لنا بروتون الرسم البياني التالي :

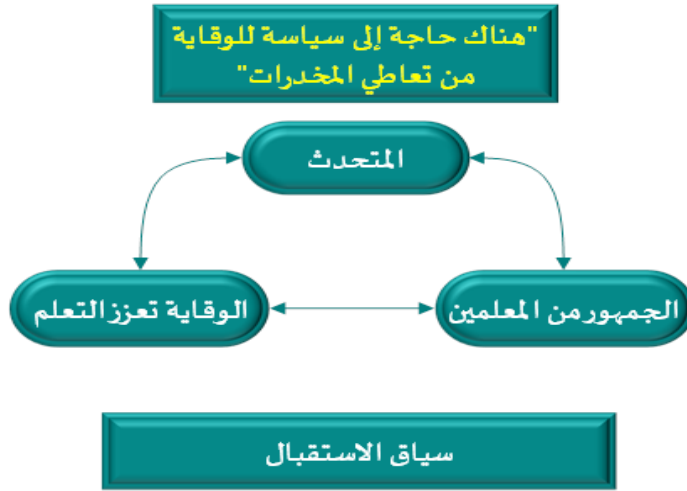
الشكل 2 مخطط التواصل الحجاجي فيليب بروتون 2007ص3



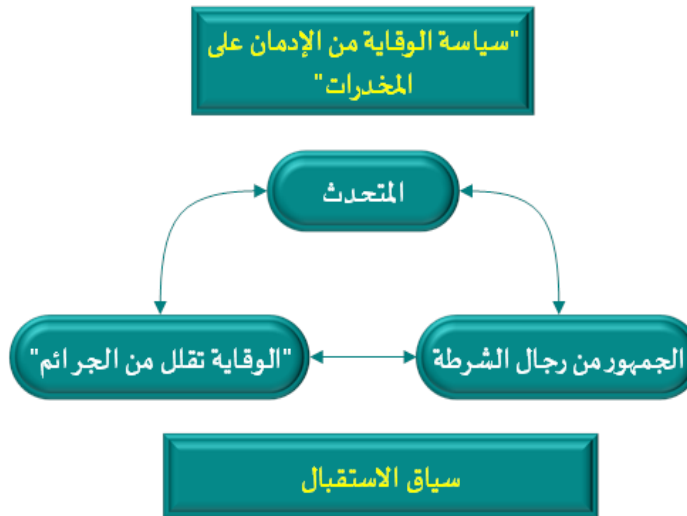
بالنظر إلى المخطط أعلاه يبدو أن الحجة تكون أصيلة أو مشروعة عندما تتكيف مع السياق والجمهور المعين من خلال تطورها في عملية تفاعل ديناميكية وتعاونية للتواصل و المشاركة ، حيث يشارك الجمهور أيضا كطرف متخاور. وبالتالي، فإن زاوية ونقطة الإرتكاز تكونان فريدتين و مناسبتين لجمهور معين وموقف معين ولكنهما تظلان مفتوحتين للنقاش و التغييرات التي تبدو أو تظهر في سياق التبادل .

يمكن الرجوع إلى أمثلة أوردها فيليب بروتون لتفصيل الحجة و السياق (بروتون 2007، 37) ويلخصها المخططين التاليين :

الشكل 3 المثال الأول، فيليب بروتون 2007ص37



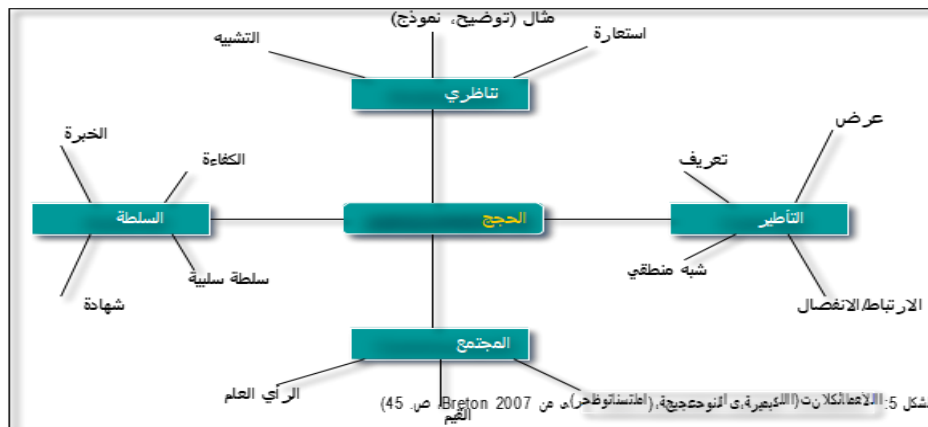
الشكل 4 المثال الثاني فيليب بروتون 2007ص38



المطلع على هذه الأمثلة أعلاه التي أوردها بروتون أنه حتى عند التعبير عن رأي هو في الأساس نفسه في الحالتين، فإن المتحدث يقدم بطرق مختلفة رسالة مختلفة حسب الجمهور الذي يخاطبه. وإدراكا منه للافتراضات التي يشترك فيها مع جمهور معين، يختار المتحدث العناصر التي يعرف أنها أكثر تأثيرا لكي تقبل رسالته. هل يمكن لومه على ذلك؟ لا شك أن الحجة تختلف في مداها حسب السياق والجمهور الذي تخاطبه. إن "التلاعب بالبيانات"، بالإضافة إلى كونه ممكنا يكون أحيانا جذابا للغاية. وهذا يعني أنه بدلا من مجرد إبراز بعض الجوانب الخاصة لرأي ما، فإن المتحدث يخفيها أو يتستر عليها عندما يقدم وجهة نظره على أنها حقيقة لا جدال فيها". (قسم تحريف

الحجة (2007) بعبارة أخرى، الحجة المشروعة هي ديناميكية تتطلب الاحترام اللازم لبناء ثقة متبادلة ودائمة بين المتحاورين. باختصار، إنها مسألة اختيار واعتبار أخلاقيين (بروتون، 2007، ص 39-42).

للإثبات عمليات الحجة المشروعة التي تكون ديناميكية و مرنة وفعالة في الوقت نفسه، لا شك أن "خطة عمل" لتنظيمها أمر ضروري. و لا يعني التخطيط بالضرورة التضليل و الإغواء. فاختيار الأولويات ووضع بعض العناصر في المقدمة هو أمر ضروري لأي خطاب مفهوم. وبالنسبة لبرتون، يجب أن يؤكد مثل هذا الخطة أيضا على أهمية صياغة الحجة بشكل جيد، واتباع عدد من الخطوات الموصى بها في البلاغة الكلاسيكية. ومع ذلك، فإن هذه الخطوات لا تسمح لنا بالتغلب "بأي ثمن" على صعوبات التفاعل واحتياجات الارتجال الخاصة التي قد نواجهها في تفاعلاتنا الملموسة. فكما لاحظ أوليفييه ريبول، فإن الارتجال بحد ذاته هو تمرين أساسي لقدرتنا على الإبداع التي تتجلى في عملية التعلم، وفي تمرين تعليمي بشكل خاص. لذا، فإنه يظهر خلال الممارسات نفسها في تبادلاتنا مع الآخرين (ريبول، 1991، صص 11-12)، يتعين على المتحدث أن يختار من بين مجموعة متنوعة من الحجج الممكنة، من أجل اختيار تلك التي تنطبق بشكل أفضل على الحالة المعروضة، وبالتالي صياغة الرأي الذي يحاول طرحه. ومن بين الحجج، نجد على سبيل المثال ما أورده موضحا في الشكل الخامس :



الشكل 5 بروتون 2007 ص 64

الأهم، حسب بروتون، هو أن نبقي منفتحين على إمكانية أن يقدم الطرف الآخر أسباب مشروعة للرد على حججنا. وبالتالي، يصوغ بروتون ما يسميه "مفارقة الحجة": هذا هو كل سر الجدل، يجب أن نكرس كل حماسنا وطاقتنا وإبداعنا لإقناع الآخر، وفي الوقت نفسه نقول ونؤكد له إنه حري أن يوافق أو لا يوافق على الرأي الذي نقدمه له، وأن وجهة نظره قد تكون هي الأخرى مشروعة في نهاية المطاف" (Breton, 2008, p, 114).

2.2 إقناع دون تضليل

على اعتبار المناقشة عبارة عن حوار ومناقشة منظمة، فإن التضليل على النقيض من ذلك هو كذبة منظمة مقصودة .

ففي عملية التضليل يتم بناء الرسالة في بعدها المعرفي أو في شكلها العاطفي بهدف الخداع والتضليل وجعل الآخرين يصدقون ما هو غير صحيح . لذلك يسعى بروتون إلى إقترح قواعد صارمة للغاية لمواجهة التضليل بل

يشدد على مسار " المعايير الداخلية " لمواقف أخلاقي عامة. والذي من المحتمل أن يكون أكثر إيجابية . والمقصود هنا المعالجة التربوية في المقام الأول التي تهدف إلى توضيح للحكام والمحكومين أن للأخلاق مكانها المناسب في النقاش الديمقراطي، بل أنها مسألة فتح عالم المسؤولية، الذي تتمثل قاعدته الأساسية في احترام الآخر. قد تبدو هذه الدعوات إلى الانفتاح واحترام الآخر سخية بقدر ما هي غير قابلة للتحقق من الناحية النظرية . ومع ذلك، فقد حاولنا تجميع بعض الآثار التي أشار إليها بروتون بطريقة مجمعة في الجدول التالي من أجل مقارنة بعض العناصر الرئيسية للتلاعب بفضائل عملية الحجة التي تعتبر شرعية. من خلال هذا التصنيف، نأمل في جعل التباين أكثر وضوحاً حتى يتمكن من تحديد هذه الآثار بشكل أفضل، بحيث تكون على الأقل أكثر يقظة حتى لا نقع بسهولة في فخ التلاعب ويوجزه التصنيف التالي :

المناقشة	التضليل
-الملاءة (الصلة المناسبة بالموضوع قيد المناقشة)؛	-عدم الصلة (عدم وجود صلة بالموضوع مناسب و الموضوع قيد المناقشة)
- احترام الآخر وحرته في التفكير	- التستر، الإكراه، العنف
- المشاركة والإلهام	- فرض، إغواء
- اتفاق تم التوصل إليه من خلال غنضام شرعي	- خلاف مستمر أو تسوية سطحية مفروضة
- نداء إلى موقف	-تدهور الشخصية(مثل الكذب الخداع)
- فعالية على المدى الطويل.	- الفعالية على المدى القصير.

إن هذه القائمة ليست شاملة بالتأكيد، بل هي مجرد قائمة إرشادية، لأن تحديد الحدود في حالات تكون فيها الخطوط رمادية للغاية هي بلا شك تحد كبير لا يطرح بروتون نفسه للتغلب عليه. لذا يمثل العمودان في الجدول طرفي نقيض مبسطين لعملية تبدو تدريجية ومتدرجة للغاية من طرف إلى آخر.(بروتون 2008 الفصل 7).

ومع ذلك، نأمل أن تساهم على الأقل في الإشارة مع بروتون إلى الحاجة إلى مزيد من اليقظة فيما يتعلق بالاستراتيجيات التلاعبية المطبقة في مجتمعاتنا التي تسمى " ديمقراطية " لأنه، سواء كان ذلك بسبب انعدام الأمل تماماً في حدوث تحول اجتماعي كبير، أو ببساطة بسبب الافتراضات الساذجة إلى حد ما حول القيم السائدة التي تعتبر "الأفضل". فإننا نتابع حركتنا في حياتنا المعاصرة المتسارعة بشكل مناسب، ولكن غالباً ما يكون ذلك بشكل متسرع ومحفوف بالمخاطر، وإذا كان " المنظور ديمقراطياً فإن الأساليب المستخدمة، مهما كانت ستكون ديمقراطية أيضاً (Breton,2000,25).

لذلك، علينا أن نبدأ بعملية إعادة تثقيف تقودنا بشكل أكثر اتساقاً إلى اختيار النقاش والحوار، لضمان أن تكون الحجج المشروعة في صميم عمليات التواصل لدينا (حتى لو كان هذا الطريق في بعض الأحيان هو الأصعب والأبطأ). إنه اختيار لصالح تبادل قائم على التفكير والتعلم، سيكون له عواقب جماعية مهمة لأن الترويج لمثل هذه الممارسة القائمة بشكل أساسي على النقاش الديمقراطي على حساب الاستخدام المتزايد لتقنيات التضليل كما يظهر

في "الترويج للموضة" (على سبيل المثال، في السياسة والإعلان)، هو حاجة لا مفر منها وملحة، إذا أردنا دعم مجتمعات ديمقراطية أكثر صحة، (Cossette, 2009 25-29) لذلك، يتعين علينا أن تحفز بشكل أقوى قدرتنا على اتباع ممارسة تداولية قائمة على احترام الآخر، وهي ممارسة مضمنة بالفعل في المفاهيم الديمقراطية لـ "المدنية" و"المساواة"، كما يحاول بروتون (2000، 2007، 2008) أن يؤكد بقوة. يفسر هذا الاستيعاب الجزئي في المجتمعات المعاصرة التركيز الذي نوليه للاستقلالية والفردية الحادة التي تصل أحيانا إلى حد "الانحطاط" (أي ملاحظة انغلاق الفرد على نفسه بشكل مفرط). لذلك، علينا فيما يتعلق بـ "المدنية"، أن نختار عدم المخاطرة بالتفاعل مع الآخرين حتى نتمكن من ممارسة "ضبط النفس" بشكل أبسط كآلية قادرة على ضمان احترام "خطاب" و"الفضاء الخاص" بالآخر *sphère privée*، وكذلك مطالبته باحترام خطابنا وفضاءنا الخاص. إن القدرة على الخروج من "قناعاتنا الخاصة" من أجل تعزيز وإثراء التواصل وعلاقات الصداقة بشكل مستمر لا تشكل بالضرورة "يوتوبيا". والكلام ذاته ينطبق على مفهوم الدبلوماسية نفسها، الذي يسمح لنا بالتفكير في إمكانية الحصول على موافقة حقيقية من المحاورين الذين يعتبرون الأطراف الحرة والمتساوية في عملية تواصل شرعية. ولا يمكن فهم القضايا التي ناقشناها للآن من منظور شكلي بحت، في بعد معرفي أو تقني بحت، مدفوعة بهوس سرعة نقل المعلومات عبر الشبكات، لأن السمات المهمة - التي يعتبرها الكثيرون أكثر ثراء وقيمة - مثل الإبداع البشري والمرونة النابعة من قدرتنا على الارتجال، هي أيضا تعزيزات أساسية لتنمية و إثراء الروابط الاجتماعية السامية والعاطفية كالتعاطف والثقة.

يشير بروتون بوضوح إلى أن لا شيء يمنعنا من الالتزام بنموذج أخلاقي يركز على احترام الآخر وعلى الحجة المشروعة بدون عقدة، على الأقل، كمرجع معياري. لأن الأمر يتعلق بالآخرى بمبدأ أساسي للديمقراطية حيث يعتبر الكلام أساس العلاقة الاجتماعية. فكيف يمكننا أن نفعل خلاف ذلك "دون المخاطرة بتبرير جميع الأساليب الأخرى التي تسمح بالتأثير على الآخرين، أي اعتماد وجهة نظر ساخرة تجاه العالم " (Breton 2000, p 30) أصبح من الواضح بشكل متزايد في خلافات الآراء في أيامنا هذه أن الرؤية الساخرة، والموقف المتطرف نسبي " بالنسبة للطرف الآخر، والتي تعطي الأولوية للمصالح الشخصية الخاصة على مصالحنا الجماعية الأكثر أهمية، تواصل عرض القرارات المشتركة الحاسمة للبشرية جمعاء للخطر (مراجعة: أبل 2007، 2001)، خصوصا تلك المتعلقة باحترام حقوق الإنسان العالمية والحفاظ على الطبيعة.

وبأسلوب آخر أبسط، فإن السخرية والنسبية، وفقا لبروتون هما مثالان على القبود التي تعيق الحجة المشروعة. وبالتالي، فإنهما يعملان كموانع تعيق تحفيز وإثراء الروابط الاجتماعية وتشكلان خطرا على الصحة الديمقراطية للمجتمعات.

لا يفوتنا أن ننبه إلى أن السخرية والنسبية تشكلان مسارات خطيرة لأنهما تفتحان الباب أمام الانزلاق بسهولة إلى سلوكيات استبدادية غير مبالية تجاه الآخرين. لأنه عندما نعيق الدوافع والاستراتيجيات التي تشجع النقاش والحوار الحر كالتضارب في الآراء بين الثقافات المختلفة فإننا نفتح الطريق لتبرير كل شيء على أنه مشروع

فالفكرة المبسطة القائلة بأن كل شيء نسبي حسب سياقه " تميل إلى اعتبار أي موقف صالحا ومقبولا، بدلا من العمل على تشجيع مناقشته على أساس فحص نقدي قائم على المبررات المعقولة لصالحية هذا الموقف.

1.2 تحديات تواجه تكنولوجيا المعلومات والاتصال

إن أكبر التحديات التي تواجه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات اليوم في منظور الباحثة زيزي باباريسي هو الحاجة إلى تقوية وتعزيز الاتصال باعتباره فضاء عام **sphère public** لبناء مجتمعات حقيقية تحفز نفسها على ممارسة جدلية مشروعة على أوسع نطاق، من خلال تبادلها لأفكار قابلة للفحص من حيث عقلانيتها من أجل تشجيع المداولات الجماعية الأكثر جوهرية (Papacharissi 2011, 306-309). بافتراض استخدامها بطريقة مسؤولة وبناءة، فإن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لديها بلا شك القدرة على المساهمة، من خلال أدوات الحوسبية، في إثراء وتحفيز التفاعلات والمناقشات و الحوارات ، والتغلب على القيود المادية التي كانت في السابق شديدة التقييد للإمكانات، وكذلك الصعوبات، الهائلة.

في المجال نفسه ، يشير إلى ذلك الفيلسوف الإيطالي لوتشانو فلوريدي مؤكدا على سبيل المثال، أن الاستخدام "الشامل" للتكنولوجيات الشبكية يوفر آليات "مضمنة ودمجة" (Floridi, 2010, pp. 7-11) لإدارة السلوكيات الجماعية التي تعقد العلاقات المتناقضة بالفعل، مثل تلك التي تربط بين الخاص والعام، والاستقلالية والضعف. لذلك، تتطلب هذه الأدوات من المبدعين والمستخدمين على حد سواء أن يكونوا على دراية بالمشاكل والصراعات الاجتماعية التي يمكن أن تولدها، حتى تتمكن المجتمعات من الاستفادة منها بشكل فعال ومسؤول ومستدام على المدى الطويل (Floridi, 2010, pp. 116-123).

باقترح فلوريدي مصطلح **infosphère** "الفضاء المعلوماتي" جعل الأنطولوجيا أنطولوجية معلوماتية أكثر شمولاً، حيث يمكن للتكنولوجيات الجديدة أن توفر أشكالاً من التفاعل مثيرة للاهتمام و مثيرة مقارنة بالتواصل المباشر. يمكن أن تؤثر هذه التقنيات بشكل عميق على الطريقة التي نفهم بها العالم، وخاصة مجتمعاتنا، (آلان ليتورنو 2012 ص 25) والعلاقات التي تقيمها مع أعضائها ومع أنفسنا.

خلقت الوسائط الجديدة الناشئة إمكانات لأشكال من اللقاءات كانت غير متصورة سابقا. ومع ذلك، ينبغي أن نغفل على مسألة في غاية من الأهمية أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وإن كانت تسبب إعادة تنظيم اجتماعي وثقافي كبير، فإنها تثير أيضا قدرا كبيرا من الحماس و الإرتباك. لذلك من الضروري التفكير في عمليات التفاعل الحقيقية قبل أن تصبح هذه الأدوات أمرا مفروغا منه، وتصبح خفي في الحياة اليومية .

(Lima, 2012(2) 10pp, 965-974).

إن القدرة هي في مركز الاختيار، بحيث بزيادة المناقشة تزداد المسؤولية الاجتماعية للأفراد بقدر الخيارات المتعددة المتاحة لهم، مع توفر إمكانية أكبر "للوصول" إلى المزيد من الأشخاص في أجزاء مختلفة جدا من العالم لما تتيحه تكنولوجيا التواصل. ألم يحن الوقت لإعادة التفكير في التقنيات، مهما كانت متنوعة، بحيث يمكنها تسهيل تنفيذ عمليات المناقشة المشروعة هذه ؟ يمكن للمسؤولية الاجتماعية المشتركة، التي غالبا ما تخضع لقيود المهارات التقنية، أن تطور مساحات مستقلة بفضل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتقنيات إدارة الموارد البشرية

الشبكية: (Scardamalia. 2002 ,6-5) القادرة على دعم عمليات المناقشة والبناء الجماعي للمعرفة . قد يكون من الممكن مكافحة الاضطراب الاجتماعي والافتقار المتزايد للثقة والاحترام بين الأفراد " العاديين " ، الناجم عن التفكك الاجتماعي لمجتمعاتنا المعاصرة، من خلال تطوير تكنولوجيات المعلومات والاتصالات الأكثر ملاءمة للحوار الحقيقي والمعقول. ولكن التساؤل الذي يطرح هو في الكيفية التي نحقق بها هذه القدرة على المناقشة في مجتمعات غير متوازنة بل مفككة على حد قول الباحثة -في التربية وتكنولوجيا الإعلام سكاردماليا مارلين- كيف في زمان و عالم بمجتمعات في غاية التعقيد والإختلاف . وهذه مسألة في غاية الأهمية.

4. خاتمة

بحثنا سابقا في التركيز على الاستقلالية، بحجة حرية الاختيار الفردي، قد يؤدي إلى فردية مفرطة على حساب قدرتنا على التحوار وتبادل القيم وتعزيز المصالح الجماعية. إذا كانت الأخلاق تتمثل في بذل جهد لبدء التفكير النقدي وحل صراعات القيم، فإن مفهومي الاستقلالية والمسؤولية يظلان محورين لتفاعلاتنا الاجتماعية. لا يمكن بالتأكيد أن تخضع الأخلاق "للموضة" لأن قيم الحوار الصادق والأصيل والديمقراطي ليست منتجات من السوق. فعلى سبيل المثال، فإن قواعد السلوك المهني والتنظيمي، التي تكتب في الغالب بهدف وحيد هو الحفاظ على "الصورة الجيدة" لمجموعة اجتماعية أو منظمة ما، دون أن يتم دمجها فعليا في ممارساتها اليومية، تندرج بالضرورة في منطق السوق الرأسمالي. إن الاستحواذ على عمليات الحجة المشروعة كما جاء في تصور بيرلمان و بروتون من أجل الوصول إلى أخلاقيات خطابية هابرماس و آبل هو ما نقترحه في الأساس في هذا المقال. وبالرجوع إلى سياقنا المعاصر، يحق لنا أن نتساءل عما إذا كانت حركة " العولمة" يمكن أن تساهم في تطور حقيقي لـ "الأخلاق"، وإذا كان الأمر كذلك فكيف ؟

في ظل التحولات الصعبة التي يصعب التنبؤ بها والتي تلوح في الأفق في عصرنا الرقمي، فإن أحد الأسئلة المتناقضة التي تطرح نفسها هو كيف يمكن لممارسة أخلاقية شرعية أن تتقدم في عالم يتحول إلى " سائل " (باومان، 2016، 33-38) بسبب الارتباك غير المحدد في "القيم" التي بدلا من أن تفهم بشكل أفضل على أنها مشتركة" لأنها مشتركة بشكل حقيقي، تتداخل في تطورات متسارعة للغاية ومتنوعة الاستخدامات كما تروج لها الصناعات المستهلكة للغاية للتكنولوجيات الشبكية ؟

في أيامنا ، يمكننا -نحن متفائلين -القول إن العديد من الحركات الاجتماعية التي بدأت في الظهور، خاصة في أوروبا وأمريكا اللاتينية، قد حفزت نفسها ونظمت نفسها بشكل كبير من خلال استخدام أدوات التواصل الاجتماعي المتاحة بالفعل. وهذا يمنحنا بلا شك المزيد من الأمل في المستقبل، على أمل أن يثبت لنا ذلك أن العملاق قد استيقظ أخيرا" كما يقال في البرازيل عن البلد للبحث عن حلول معقولة لأخطر مشاكلنا المشتركة.... ولكن كل هذا سيعتمد بلا شك على الطرق التي سنجدها في احترام حقوقنا في تبادل "حرية التعبير" قدر الإمكان .

5. قائمة المراجع:

بالعربية :

- باومان زيمونت، 2016. في عصر الحداثة السائلة ط1. أبوظبي: دار الكلمة.
- بروتون فيليب، 2013. *الحجاج في التواصل* (مشبال محمد، العلمي عبد الواحد لتهامي، مترجمون) ط1 القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- بيرلمان شايم وتيتيكا لوسي أوبخت 2023. *المصنف في الحجاج*. (الولي محمد، مترجم) ط1 ليبيا: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- كاستيليز مانويل 2014. *سلطة الاتصال* (حرفوش محمد، مترجم) ط1 القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- هابرماس يورغان 2001. *نظرية الفعل التواصلي، عقلانية الفعل والعقلنة الإجتماعية* (المسكيني فتحي، مترجم) ط1. بيروت، قطر: المركز العربي للأبحاث و الدراسات السياسية.
- هابرماس يورغان. 2006 *مستقبل الطبيعة الإنسانية، نحو نسالة ليبرالية*. (كتورة جورج، هاشم أنطوان، مترجمون) ط1.. لبنان: المكتبة الشرقية .

باللغة الأجنبية:

Apel, K. O. (1998). *Discussion et responsabilité. II: contribution à une éthique de la responsabilité*. Editions du Cerf. <https://doi.org/10.1111/j.1536-7150.2007.00497.x>

Apel, K. O., & Hunyadi, M. (1994). *Éthique de la discussion*. Paris: Cerf.

Berten, A., Appel, K. O. *Discussion et responsabilité. II. Contribution à une éthique de la responsabilité*. Traduit de l'allemand par Christian Bouchindhomme et Rainer Rochlitz. In: *Revue Philosophique de Louvain*. Quatrième série, tome 99, n°1, 2001. pp. 139-142.

Breton, P. (2015). *Convaincre sans manipuler: Apprendre à argumenter*. La Découverte.

Breton, P. (2016). *L'argumentation dans la communication*. La découverte. https://www.persee.fr/doc/AsPDF/sciso_1168-1446_1997_num_41_1_1533_t1_0221_0000_2.pdf

Breton, P. (2020). *La parole manipulée*. La découverte.

. <https://doi.org/10.22230/cjc.2003v28n3a1373>

BRETON et Gilles GAUTHIER (2000), *Histoire des théories de l'argumentation*, Paris, La Découverte & Syros, Coll. « Repères ». <https://doi.org/10.4000/communication.5422>

Cossette, C. (2009). *Éthique & publicité*. Presses de l'Université Laval.

Floridi, L. (2010). *Information: A very short introduction* (Vol. 225). Oxford University Press.

Foessel .M. 2015. *Monde du texte et monde de la vie* Paris Memisis.

Habermas, J. (1981). 1984/1987: *The Theory of Communicative Action*, Vol. 1-2. Cambridge: Polity.

Habermas, J. *De l'éthique de la discussion*. Paris :Cerf.

Létourneau, A. (2012). Internet comme ressource commune: des questions pour une éthique des ordinateurs et technologies de l'information. *Éthique publique. Revue internationale d'éthique sociétale et gouvernementale*, 14(2). <https://doi.org/10.4000/ethiquepublique.1006>

Lima, K. A. (2012). Digital media ethics: Challenges between the public and the private for ICTs. *Journalism and Mass Communication* (2), 10, 965-974.

- Papacharissi, Z. (2010). *A private sphere: Democracy in a digital age*. Polity.
- Perelman, C. (1977). *L'empire rhétorique: rhétorique et argumentation*. Paris : J.Vrin.
- Perelman, C., & Olbrechts-Tyteca, L. (1958). *La nouvelle rhétorique traité de l'argumentation*. Bruxelles :Edition de l'université de Bruxelles.
- BRETON et Gilles GAUTHIER (2000), *Histoire des théories de l'argumentation*, Paris, La Découverte & Syros, Coll. « Repères ». <https://doi.org/10.4000/communication.5422>
- Reboul, O. (1991). *Introduction à la rhétorique: théorie et pratique*. Paris : Presses universitaires de France.
- Ricoeur,P.1991. *Monde du texte et monde du lecteur*.Paris Seuil.
- Ricoeur,P.(2001).*Le juste 2*.Paris : Esprit.
- Ricoeur.P.2010.*Ecrits et conferences2*.Paris .Seuil.
- Scardamalia, M. (2002). Collective Cognitive Responsibility for the Advancement of Knowledge. In B. Smith (Ed.), *Liberal Education in a Knowledge Society* (pp. 67-98). Chicago, IL: Open Court.
- Wellman,B.(2007). "Through Life from the Bronx to Cyberspace." *Aristeia*, Fall, (2005): 24."[Connected Lives and Networked Individualism: The Internet in Everyday Life.](#)" *Big Ideas*, TV Ontario, (10 March 2007).